الحركة الإسلامية
في مجال الدعوة والتثقيف العام

- الحركة والنخب المثقفة .
- الحركة وجماهير الشعب .
- الحركة والطبقة العاملة .
- الحركة ورجال المال والأعمال .
- الحركة والعمل النسوى .

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

الحركة الإسلامية فى مجالها الدَعوى .. الامتداد الأُفقى

لا بد للحركة الإسلامية أن تسعى سعياً حثيثاً ، لتمد أشعتها إلى كل شرائح المجتمع وطبقاته ، وأن تمتد أفقياً عن طريق تغذية الصَحْوَة الإسلامية العامة حتى لا يبقى ركن فى الحياة الاجتماعية إلا وصل إليه صوت الحركة ، وبلغته رسالتها ، وكان لها فيه جنود وأبناء،ووراءهم أضعافهم من الأنصار والمؤيدين والمساندين .

وإنما يتم ذلك عن طريق عمل دَعوى وإعلامى ، مخطَّط منظَّم يستفيد من وسائل العصر ، وإمكانات العلم ، وتكنولوچيا الإعلام الحديث ، ويقتبس من أدوات الغرب والشرق كل ما يخدم دعوته ، ويحقق هدفه « والكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق بها » .

ولا بد للحركة أن تستعين بفنيين متخصصين فى مخاطبة العامة والخاصة ، والاستفادة من علوم النفس والاجتماع والسياسة والإعلام ، وتجنيدها لخدمة أهداف الحركة ورسالة الإسلام .

بل لا بد للحركة أن تخطِّط من اليوم لإعداد دعاة معاصرين ، وإعلاميين مؤمنين بسمو دعوة الإسلام وشمولها وعالَميتها وتوازنها ، قادرين على أن يُبَلِّغوها إلى الناس بلغة العصر ، ومنطق العلم .

وسنتحدث فى الصحائف التالية عن أهم الشرائح الاجتماعية التي يجب أن تمتد إليها الصَحْوَة ، ومن ورائها الحركة ، من المثقفين إلى العمال ، إلى التجار .. إلى غيرهم .

* * *

الحركة الإسلامية والنُخبة المثقفة

أول الشرائح التى يجب أن تتغلغل فيها الحركة وتؤثر فيها تأثيراً بيِّناً ، هى النُخبة المثقفة ، بحيث تستقيم فكرتها عن الإسلام ، عقيدته وشريعته وحضارته وتاريخه ، وعن الحركة الإسلامية وأهدافها وإنجازاتها .

● سوء فهم كثير من المثقفين للإسلام :

فرغم انتشار الصَحْوَة بين المثقفين من الشباب ، فلا زالت مجموعات كبيرة تجهل الإسلام أو تفهمه فهماً مبتوراً ، أو مشوَّشاً ، أو مشوَّهاً . نتيجة للرواسب القديمة من عصور التخلف ، أو المشوهات الجديدة من آثار الغزو الفكرى .

ما زال بعضهم - رغم ثقافته الجامعية - يؤمن بالخرافات ، ويستسلم للمشعوذين ويدخل عليه الشرك فى عقيدته ، والابتداع فى عبادته ، والاضطراب فى سلوكه . وهو يحسب أنه متدين .

ما زال بعض المثقفين يطوفون بأضرحة الأولياء ، كأنها الكعبة ، ويستغيثون بالمقبورين ، ويعلّقون التمائم ، ويؤمنون بتحضير الأرواح ، ويحلفون بغير الله ، وينذرون لغير الله ، ويذبحون لغير الله .

وهؤلاء - وإن كانوا قلة نسبية بحكم طغيان الموجة المادية ، والغزوة الفكرية الغربية - لا زال لهم وجود ، بحكم تأثير الصوفية المنحرفة ، والتى لا يزال لها قوة ونفوذ فى أكثر أقطار المسلمين ، وتسندها - علناً ومن وراء ستار - السلطات الرسمية ، لأسباب لا تخفَى على اللبيب !

والواجب أن يعرف هؤلاء مقوِّمات العقيدة السليمة ، والعبادة المقبولة عند الله .

وما زال بعض المثقفين يجهل عناصر الخلود ، وجوانب القوة والعظمة فى الإسلام،فلا يكاد يعرف شيئاً من خصائصه أو مقوِّماته . وهو يأخذ الإسلام من المستشرقين والمبشرين ، أو يأخذه من واقع المسلمين . فهو يظن أن ما عليه الناس من حوله هو الإسلام ، فيحمل تأخر الناس وفسادهم وجهلهم على الإسلام ، والإسلام من هذا كله بَراء .

والواجب أن يعرف هؤلاء من أين يؤخذ الإسلام ، وما مصادره التى تُستقَى منها تعاليمه ، وأن الإسلام حُجَّة على المسلمين ، والمسلمون ليسوا حُجَّة على الإسلام .

وما زال بعض هؤلاء يظن أنه يمكن أن يكون مسلماً متديناً حقاً ، وهو يقبل الحكم بغير شريعة الإسلام ، ويرضى أن يعيش فى ظل دولة توجهاتها غير إسلامية ، وأنظمتها غير إسلامية .

والواجب أن يعرف هؤلاء أن الإسلام عقيدة وشريعة ، وأن الله لم ينزل كتابه ليُقرأ على الأموات ، بل ليحكم الأحياء : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ (١) . وأن مَن لم يحكم بما أنزل الله فهو مدموغ بالكفر أو الظلم أو الفسوق أو بها جميعاً .

ما زال بعض المثقفين يتوهم أن الإسلام صورة من النصرانية ، والنصرانية تقبل أن يُقَسَّم الإنسان وأن تُشطر الحياة بين الله وقيصر : « أعطِ ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » .

فهو يحصر الإسلام فى العلاقة بين المرء وربه ، وهى علاقة خاصة مكانها الضمير ، فإذا تجاوزته فإلى المسجد لا تعدوه .

أما الحياة ونُظمها ، والثقافة وتياراتها ، والتعليم ومناهجه ، والاقتصاد وتطبيقاته ، والقانون وعقوباته ، فما للدين ولهذه الأمور ؟!

---

(١) النساء : ١٠٥

وأكثر من ذلك أن ترى أحدهم يدَّعى الإسلام ، وقد يفاخر بالانتماء إليه ، وقد يُصَلِّى أو يحج أو يعتمر .

ومع هذا يدعو للفكر القومى العلمانى ، ويؤثر الرابطة القومية بصورة مطلقة على الرابطة الإسلامية ، ويتخذ من الفكر الغربى موجهاً له ، دون انتقاء ولا تمحيص ؛ فهو يأخذ برأى دارون فى التطور ، وبرأى فرويد فى التحليل النفسى ، وبرأى ماركس فى التفسير المادى للتاريخ ، وبرأى دوركايم فى تفسير نشأة الأديان ، ولا يرى أن للإسلام موقفاً فى شىء من ذلك .

حتى قال أحدهم يوماً : أنا ماركسى مسلم ! ولا أدرى كيف يجتمعان ؟

وما مصدر إلهامه وتفكيره إذن : القرآن أم « رأس المال » والبيان الشيوعى؟ ومَن القدوة والحكَم عند الاختلاف : محمد أم ماركس ؟

وهل يُقبل من إنسان أن يقول : أنا بوذى مسلم ؟ أو مسيحى مسلم ؟! فكيف يُقبل منه أن يقول : أنا ماركسى مسلم ؟!

الأن الماركسية ليست ديناً ، بل تحارب الدين كله ، وتعتبره أفيون الشعوب؟

والأصل أن هذا يجعلها أولى بالرفض ، فإذا لم يقبل الإسلام الاشتراك مع دين آخر - ولو كتابياً - فكيف يقبل الاشتراك مع عقيدة تجحد كل الأديان ؟

على أن العقيدة الماركسية - وإن جحدت كل الأديان - تحمل طبيعة الدين الذى يفرض التجرد له ، ولا يقبل الشركة فيه .

فالماركسية فلسفة شمولية كاسحة ، لا تدع بطبيعتها مكاناً للإسلام ولا لغيره إلا أن يكون - عند التساهل والضرورة - مكان الذيل لا الرأس ، والتابع لا المتبوع .

وما زال بعض المثقفين يتصوَّر أن ضعف المسلمين السياسى وانهزامهم العسكرى وتخلفهم الحضارى ، وانحطاطهم فى الميدان العلمى والتكنولوچى -

راجع إلى دينهم ، وأن انتصار الغرب ونهوضه وتقدمه راجع إلى تحرره من رِبقة الدين ، وقيامه على الفكر العِلمانى ، الذى يفصل الدولة عن الدين .

والواجب أن يُعَرَّف هؤلاء بحقائق الدين الأصيلة ، مستقاة من منابعها الصافية من كتاب اللّه وسُنّة رسوله ، كما فهمها أفضل قرون هذه الأمة من الصحابة والتابعين .

وسيجدون حينئذ أن حقائق الإسلام إذا أُحسن فهمها ، وروعِىَ حسن العمل بها ، لا تؤتى إلا أطيب الثمرات .

فليس فيها إلا ما يُحرِّر العقول ، ويُزكّى الأنفس ، ويُشحذ العزائم ، ويُقَوّى الأبدان ، ويبنى الأسر على أمتن الدعائم ، وينهض بالمجتمعات على أسس من العلم والإيمان ، والتكافل ، ومكارم الأخلاق ، ويُقيم الحكومات على ركائز من العدل والشورى وتحكيم ما أنزل اللّه من الهُدى والحق ، ويهدى الإنسانية كلها إلى التى هى أقوم .

كما يجب أن يعرف هؤلاء أن الذى يدرس تاريخ الإسلام ودوراته وتقلباته ، وما فيه من انتصارات وهزائم ، وانتعاشات ونكسات ، وقوة وضعف ، سيجد بوضوح أن الانتصار والازدهار والقوة والانتعاش تكون حيث يقترب المسلمون من الإسلام وقيمه وأحكامه بفضل خليفة أو قائد أو عالِم ، أو حركة . كما فى عهد الخلفاء الراشدين قبل إيقاد نيران الفتن عليهم ، وعهد عمر بن عبد العزيز ، وأبى جعفر المنصور ، وهارون الرشيد ، وعهد نور الدين محمود الشهيد ، وصلاح الدين الأيوبى ، وغيرهم ...

أما الهزائم والنكسات وفترات الضعف والانحسار ، فإنما تكون حيث يبتعد المسلمون عن حقيقة الإسلام ، وعلى قدر بُعدهم تكون مصيبتهم .

ما زال بعض المثقفين يجهلون أشياء تُعتَبر بدهيات في الإسلام، حتى رأينا بعض مَن يكتبون منهم يتحدث عن صلب المسيح وكأنه حقيقة واقعة . وهو أمر مرفوض فى الإسلام قطعياً .

أو يتحدث عن حوّاء وأنها التى أغرت آدم بالأكل من الشجرة المحرّمة ، فكانت سبباً فى طرده من الجنة . وتبعاً لذلك كانت سبباً لشقائنا ومكابدتنا فى هذه الدنيا !

وهذه الفكرة مستقاة من التوراة وأسفار العهد القديم ، ولا أساس لها فى الإسلام ، فآدم هو الذى أكل ، وهو الذى خالفَ . ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (١) . ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (٢) .

فآدم هو المسئول الأول ، وزوجه إنما أكلت تبعاً له .

ما زال كثير من المثقفين ينظر إلى الثقافة بمنظار غربى ، فالرقص عندهم فى مقدمة مقوِّمات الثقافة ، والشعب الذى لا يرقص شعب غير مثقف ! وإذا قلتَ لهم : نحن عندنا رقص بالسيف والعصا ، وبغيرهما - عندنا « العرضة » ، أو « التحطيب » و « الدبكة » وغيرها من ألوان الرقص الشعبى المعروف فى كل بلد ، يمارسه الناس فى المناسبات السارة كالأعراس والأعياد ، ونحوها - سخروا منك ، لأنك لم تفهم المقصود من الرقص الذى لا مقصود غيره ، هو : أن تراقص المرأة الرجل الأجنبى عنها ، ويراقص الرجل المرأة الأجنبية عنه ، وتتلامس الأجسام ، وتتحرك القلوب ، على نغمات الموسيقى ، وإياك أن تظن سوءاً ، هؤلاء ليسوا مثلى ومثلك بَشراً لهم غرائز وشهوات ، بل هم أُناس فوق مستوى الشبهات والشهوات ، بل هم ملائكة يمشون على الأرض !

---

(١) طه : ١١٥ (٢) طه : ١٢١ - ١٢٢

أما فكرة « الحلال والحرام » وأن المسلم ليس حراً يفعل ما يشاء ، بل هو يعمل فى إطار حدَّه الله له لا يجوز له اعتداء حدوده ، ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (١) فهذا كلام غريب لا يجد له صدى فى أنفس أُولئك المثقفين .

* * *

● كيف تتعامل الصَحْوَة الإسلامية مع المثقفين ؟

وعمل الصَحْوَة مع المثقفين يأخذ طريقين :

الطريق العلاجى ، والطريق الوقائى .

فالعلاجى يكون بتصحيح الأفهام الخاطئة عند المثقفين ، وإقناعهم بالأدلة العلمية الموضوعية الهادئة ، لا بالشتائم ولا المهاترات ، ولا الأقوال الخطابية . ودلالتهم على المصادر الموُثقة ليعرفوا منها ما يجب أن يعرفوه عن الإسلام : كتابه ورسوله وعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته .

وهذا إنما يفيد فى الغالب الشباب ممن لم تتمكن فيه العصبية لمبدأ يعتنقه أو نشأ عليه . ومَن غلب عليه طلب الحق للحق .

أما المتعصبون ، والمنتفعون من التجارة بالتقدمية والتحررية واليمينية واليسارية وغيرها ، فقلَّما يُجدى معهم حوار ، إلا من باب إقامة الحُجة ، وإبطال التعلة .

والطريق الثانى : هو الطريق الوقائى . ونعنى به وضع ثقافة صحيحة موُثقة عن الإسلام ، تجمع بين الدِّقة العلمية ، والوضوح البيانى ، مهمتها إعطاء جرعات كافية فى فهم الإسلام ، وتصحيح المفاهيم التى شاع الخطأ فى تصورها ، والرد على الشبهات والمفتريات ، دون إسهاب فى سردها .

---

(١) الطلاق : ١

OBEIKAN.COM

والغرض من ذلك تحصين الشباب من سموم الأفكار الغازية . فهو بما حصَّل من ثقافة كأنما أصبح « مطَّعماً » ضد الأوبئة الفكرية الزاحفة جهرة ، أو المستسللة خفية .

وينبغى أن نُبعد عن هذه الساحة - ساحة النخبة - الوعَّاظ الشعبيين : وعَّاظ الجماهير ، الذين لا يفهمون لغة العصر ، ولا منطق المثقفين ، ولا يتعاملون إلا مع القلوب المؤمنة يُلهبون حماسها لا مع العقول المتحررة التى قلَّما تقول : نعم ، بل تسأل دائماً : لِمَ ؟ وفيم ؟ وكيف ؟!!

ومثل الوعَّاظ الشعبيين الكُتَّاب الشعبيون أيضاً ، فأولئك يستثيرون العواطف باللسان ، وهؤلاء يستثيرونها بالقلم ، والقلم أحد اللسانين ، كما قال العرب ، وإن كان اللسان أقدر على الإثارة والتهييج لما للصوت ونبراته من تأثير ، فإذا أُضيف إليه المشاهدة كان أقوى .

فهؤلاء وأولئك من الوعَّاظ والكُتَّاب لهم أثرهم ونفعهم ، بقدر ما لدى كل منهم من علم موثَّق . ولكن فى محيط النُخبة المثقفة ، يكون ضررهم أكبر من نفعهم .

* * *

الحركة الإسلامية وجماهير الشعب

والعناية بالنُخبة المثقفة لا يعنى إهمال الجماهير ، إذ لا تعارض بين الأمرين .

ومن الخصائص الأساسية للحركة الإسلامية : أنها حركة شعبية،بمعنى أنها ليست حركة حكومية رسمية ، ولا حركة أرستقراطية ، بل حركة انبثقت من أعماق الشعب لتُعَبِّر عن ضميره ، وتتفاعل مع نبضه ، وتتعايش مع جماهيره ، لتنطق باسمهم ، وتشد أزرهم فى مطالبتهم بحقوقهم .

ولقد حاولت القُوَى المعادية للحركة فى الخارج ، وعملائهم فى الداخل ، أن يعزلوا جماهير الشعب عن الحركة ، بالتشويش والتشويه حيناً ، وبالتخويف والإرهاب حيناً ، وبغير ذلك من الوسائل .

ولكن الأخطر من هذا أن تعزل الحركة نفسها عن الشعب : استعلاءً عليه ، أو اتهاماً له ، أو تهويناً من شأنه ، أو يأساً منه ، أو انشغالاً عنه ، نعم هذا هو الخطر : أن تنسى الحركة موقعها من الشعب وموقع الشعب منها ، وأن تنشغل عن هموم الجماهير ومتاعبها ، وتتقوقع على نفسها ، تكلم نفسها ، وتسمع نفسها ، وبذلك تسجن الحركة ذاتها اختياراً فى قفص العزلة عن الشعب .

إنما تنجح الحركة حقاً يوم تستطيع تحريك الشعب معها ، وأن ينتصر لها ويغضب لغضبها ، ويرضى برضاها ، ويُقدِّر مواقفها وجهودها ، ويلعن خصومها .. وأن تجعل همها اندماج الحركة فى الشعب ، بحيث تجرى فيه كما يجرى الدم فى العروق والشعيرات ، وتختلط به كما يختلط الروح بالجسد ، أو النور بالعين ، فلا يستطاع فصل الحركة عن الشعب ، ولا عزل الشعب عن الحركة .

وهذا لا يتم إلا يوم تتبنى الحركة هموم الناس وتنفعل بقضاياهم ، وتفرح لفرحهم وتأسى لأساهم ، وتشاركهم فى سرائهم وضرائهم ، ترقص معهم إذا

طربوا ، وتبكى معهم إذا حزنوا ، وتثور معهم إذا ثاروا ، فهى منهم ، وهم منها ، وهى لهم ، وهم لها .

* * *

● التبصير بالحقائق لا التخدير بالأحلام :

وإيماننا بالشعوب وقوة الجماهير لا يعنى أن نضللها عن الحقائق المُرّة ، وأن نُخَدِّرها بالأمانى الفارغة .

إن على دعاة الحركة ومفكريها أن يصارحوا الأمة بأمراضها ، ولا يكتموها عنها ، كما يفعل الناس فى مجتمعاتنا مع ذوى الأمراض الخطيرة ، وأن يُبَصِّروا الشعوب بالحقائق وإن كانت مُرّة ، لا أن يُخَدِّروها بالأحلام الوردية ، دون أن يسلكوا لتحقيقها أى سبيل .

لقد فرّق علماء التربية الصوفية عندنا بين الرجاء والتمنى ، وقالوا : الرجاء ما قارنه عمل ، وإلا فهو أُمنية !

والرجاء هو حافز المؤمنين ، والأمانى هى شغل الفارغين .

والقرآن يقول لمن جعلوا الجنة حكراً عليهم ، بلا إيمان ولا عمل : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ، قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

ويقول الإمام علىٌ كرّم الله وجهه لابنه الحسن : إياك والاتكال على المُنَى ، فإنها بضائع النَوكَى (أى الحمقى) !

ويقول الشاعر :

ولا تكن عبد المُنَىٰ ، فالمُنَىٰ رؤوس أموال المفاليس !

إن الرجاء والأمل والشوق إلى غد أفضل هى الغذاء والوقود لأى حركة تعمل على تغيير الواقع المظلم إلى مستقبل مشرق .

---

(١) البقرة : ١١١

ولكن الأمل والرجاء غير الأمانى ، فالأمانى قد تجتمع مع اليأس من الوصول إلى المراد ، بخلاف الأمل والرجاء ، فهما نقيض اليأس والقنوط ، يقول الشاعر:

أعَلِّل بالمُنَـى قلبى ، لعلّى ... أُسرِّى بالأمانى الهم عنِّى

وأعلم أن وصلك لا يُرَجَّى ... ولكن لا أقَل من التمنِّى !

وكما يجب أن نُبَصِّر الناس بمرارة الواقع ، علينا أن نُبَصِّرهم بأخطار المستقبل ، حتى يُوَطِّنوا أنفسهم على احتمال آلامه ، ولا يتوهموا أنه ورد لا شوك فيه ، وأن السماء ستمطر عليهم فيه سمناً وعسلاً ، دون أن تكدح منهم اليمين ، أو يعرق الجبين .

هناك خطأ يجب التنبيه على تصحيحه فى طرح الشعارات الإسلامية والحلول الإسلامية للجماهير الإسلامية .

فحينما يتنادى الإسلاميون : الإسلام هو الحل ، ولاصلاح لنا إلا بالإسلام ، والإسلام هو سفينة الإنقاذ مما نتخبط فيه من مشكلات اقتصادية واجتماعية وسياسية ، يتصور جماهير الناس : أن مجرد رفع هذا الشعار ، وتأييد أصحابه ودعاته فى الانتخابات وحصولهم على عدد كبير من المقاعد .. إلخ .. سيحل كل المشاكل المعلّقة بعصا سحرية أو معجزة سماوية !

وهنا يتعين على الإسلاميين ودعاتهم ومفكريهم أن يُبَيِّنوا للناس بوضوح كاف : أن الإسلام يحل مشكلات الناس عن طريق الناس أنفسهم ، وأن اللّه لا ينزل عليهم ملائكته تقوم عنهم بزراعة الأرض ، أو بتنمية الثروة الحيوانية أو السمكية ، أو بتقوية الصناعة ، أو بتنشيط التجارة ، أو بإقامة هياكل البِنية الأساسية ، أو بتجنيد طاقات الأمة للعمل المنتج ، وصرفها عن العبث وتبديد القُوَى .

إن الناس هم الذين يقومون بهذا كله وبغيره ، مما تحتاج إليه الحياة الطيبة ويفتقر إليه المجتمع الصالح المعاصر ، وتنشده الإنسانية الراشدة .

لقد قال عمر بن الخطاب لمن قعدوا فى المسجد متوكلين على الله : لا يقعدن أحدكم عن طلبه الرزق ، ويقول : اللّهم ارزقنى ، وقد عَلِمَ أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . إن الله يقول : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُواْ فِى الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (١) .

إن القرآن قد قرَّر بجلاء ، هذه السُنَّة التى لا تتخلف : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٢) .

وهذا هو المنطلق الأول : تغيير ما بالأنفس من مفاهيم مغلوطة ، وأفكار ميتة أو فاسدة ، وأخلاق مذمومة ، وصفات مرذولة ، إلى مفاهيم صحيحة ، وأفكار حية وصالحة ، وأخلاق محمودة ، وصفات طيبة . يجب أن يتهيأ الناس لحياة غير الحياة التى ألفوها : حياة إنتاج وعمل لا بطالة وكسل ، حياة جد لا هزل ، حياة تقشف لا ترف ، حياة عدل لا محاباة ، حياة عَرق لا دعة ، حياة إصرار لا استرخاء .

* * *

● تصحيح المفاهيم المغلوطة :

ومن واجب الحركة ودعاتها : أن يُصَححوا المفاهيم الإسلامية المغلوطة عند جماهيرنا المسلمة ، حتى تكون عامل بناء لا عامل هدم ، وحافز تقدم لا داعى تخلف .

لقد فهم كثير من المتدينين بعض القيم الدينية الكبيرة فهماً مغلوطاً ، وذلك مثل قيم : الإيمان ، والتقوى ، والصلاح ، والاستقامة .

---

(١) الجمعة : ١٠ (٢) الرعد : ١١

OBEIKAN.COM

فإذا قال القران : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُواْ وَاتَّقُواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ (١) .

أو قال : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢) .

أو قال : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٣) .

أو قال : ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُواْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَّاءً غَدَقاً ﴾ (٤) .

إذا قال القرآن ذلك فهم هؤلاء أنه مجرد إقامة الشعائر من الصلاة والصيام والتسبيح والتهليل والتكبير ، واجتناب المحرَّمات من الخمر والميسر ، وهذا لا شك جزء أساسى من الدين ، ولكنه ليس كل الدين ، ولا كل الإيمان والتقوى .

إن الله كما خَلَقَ الإنسان ليعبده : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥) خلقه ليكون فى الأرض خليفة يعمرها بالعلم والعمل : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٦) . ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٧) ومعنى « استعمركم » : أى طلب إليكم أن تعمروها . بل هذه العمارة نوع من العبادة .

إن الإيمان والتقوى والصلاح والاستقامة توجب علينا أن نوازن بين ديننا ودنيانا ، وأن نتعبد لله برعاة سُنَنَه الكونية ، وأن نعد لأعدائنا ما استطعنا من قوة ، وأن نغرس ونزرع ونصنع ، ونقوم بكل علم أو صناعة تحتاج إليها الأمة فى دينها أو دنياها ، وهو ما اعتبره فقهاء المسلمين فرض كفاية تأثم الأمة كلها بالتفريط فيه .

---

(١) الأعراف : ٩٦ (٢) الطلاق : ٢ - ٣ (٣) الأنبياء : ١٠٥
(٤) الجن : ١٦ (٥) الذاريات : ٥٦ (٦) البقرة : ٣٠
(٧) هود : ٦١

إن التقوى المنشودة ليست مسبحة درويش ، ولا عمامة متمشيخ ، ولا زاوية متعبد . إنها علم وعمل ، ودين ودنيا . وروح ومادة ، وتخطيط وتنظيم ، وتنمية وإنتاج ، وإتقان وإحسان : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » (١) . « إن الله كَتَبَ الإحسان على كل شيء » (٢) .

إن النبى ﷺ حَثَّ على إتقان أى عمل يمارسه المسلم ، ولو كان قتل وَزغة . ففى الحديث : « مَن قتل وَزغة من أول ضربة كُتبَ له مائة حسنة ، ومَن قتلها فى الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة (أى أقل من الأول) ، ومَن قتلها فى الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة » (٣) (أى أقل من الثانى) . الإتقان مطلوب فى أى عمل ولو كان تافهاً فى نظر الناس .

إن الصحابة رضى الله عنهم لم يفهموا الدين على أنه رهبانية أو دروشة ، ولم يفهموا الإيمان والتقوى على أنها انقطاع عن الحياة ، أو انشغال عن تنميتها بالتفرغ للشعائر .

إن عبد الرحمن بن عوف حين قابل إيثار أخيه فى الإسلام سعد بن الربيع بالتعفف الكريم وقال قوله : « إنما أنا امرؤ تاجر ، فدلونى على السوق » وتاجَرَ وربح الملايين ، لم يخرج عن دائرة الإيمان والتقوى ، ولم يبعد عن زمرة المتقين ، بل كان من العشرة المبشَّرين بالجنة ، الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وكان من الستة أصحاب الشورى .

إن المؤمنين المتقين هم الذين يأخذون بالأسباب ، ويجتهدون أن يكونوا دائماً « أحسن عملاً » مسلحين بالتوكل على الله ، معتصمين بمكارم الأخلاق . ولهذا يبارك الله جهودهم فى الدنيا . ولا يضيع أجرهم فى الأخرة .

* * *

---

(١) رواه البيهقى فى شُعَب الإيمان من حديث عائشة ، وحسَّنه فى صحيح الجامع الصغير برقم (١٨٨٠) .

(٢) رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان ، وهو من أحاديث الأربعين النووية .

(٣) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، كما فى صحيح الجامع الصغير (٦٤٦٠) .

الحركة والطبقات العاملة

وأقصد بالطبقات العاملة هنا : العمال الصنَاعيين والحِرَفيين - بمستوياتهم المختلفة الذين تتكوَّن منهم اليوم - وخصوصاً فى المدن الكبرى - تجمعات ضخمة ، وتقوم على أمورهم نقابات منظَّمة قادرة على أن تعطِّل سير الحياة اليومية إذا قررت الإضراب عن العمل طلباً لحق ، أو احتجاجاً على ظلم .

والملاحَظ أن الحركة الإسلامية محدودة الأثر فى البيئة العمَّالية إلى اليوم ، ولا زال اليساريون هم الأعلى صوتاً ، والأقوى تأثيراً ، والأكثر نفوذاً فى فئاتها المختلفة،ولا زالوا هم القادرين على تحريكها لحسابهم كلما أرادوا إلى حد بعيد.

هذا برغم أن الحركة الإسلامية الأم - حركة الإخوان المسلمين بقيادة الإمام البنا رحمه اللّه - بدأت أول ما بدأت بمجموعة من العمال المصريين فى الإسماعيلية كانوا هم الذين بايعوه على نُصرة الهدف الذى يدعو إليه .

ورغم الامتداد الأُفقى الواسع للحركة الإسلامية فى صفوف الطلاَّب فى أكثر البلاد الإسلامية : فى مصر والسودان والأردن وتونس والجزائر وباكستان وغيرها ... نجد انكماشاً فى صفوف عمال الصناعة . وقد سجَّل ذلك الدكتور حسن الترابى زعيم الجبهة الإسلامية فى السودان فى كتابه عن الحركة الإسلامية هناك ، رغم نجاح الإخوة هناك فى الدخول إلى مناطق شتَّى ، بعضها أصبح خالصاً لهم ، وبعضها لهم فيه وجود راجح ، وصوت عال .

ولا أدرى ما السر فى عدم نفوذ الحركة الإسلامية الى الجبهة العمالية ؟

أهو ضعف الحاسة الدينية لدى الطبقة العاملة ؟ وما الذى أضعفها لديهم وهم من صميم الشعب الذى يعتبر الدين لحمته وسداه ؟

أم هو ضعف الوعى بحقيقة الإسلام ورسالته فى الحياة ، وتأثير الأفكار المستوردة عليهم ؟ وهذا أيضاً يحتاج إلى تفسير وتعليل .

أم هو تقصير الحركة فى تبنى قضايا العمال ، والوقوف بجانب مطالبهم العادلة تجاه القُوَى المُستَغِلة لهم ، والآكلة لجهودهم بغير حق ، من رأسماليين جشعين أو حكّام ظالمين ؟

أم هو فضل نشاط الفئات اليسارية ، وحسن تخطيطهم للتأثير فى طبقات العمال وتبنى حقوقهم ، واستغلالهم بعد ذلك لخدمة مبادئهم الهدّامة ، وفلسفتهم المادية ؟ ولا سيما أن لديهم رصيداً غير محدود من الخبرة فى ذلك ، مع ما لديهم من مغريات ووسائل لا ترضاها الحركة الإسلامية .

مهما تكن الأسباب فلا بد للحركة من مراجعة استراتيجيتها فى ذلك ، فالعمال جزء حى وهام من شعوبنا المسلمة ، والإسلام لا زال هو العامل القوى لتحريك الجماهير بالإيمان ، وخصوصاً إذا وعت أن الإسلام أعظم دين يكرم العمل ، وينصف العمال.وقد اشتمل نظامه الاقتصادى والاجتماعى والقانونى على الرعاية المادية والأدبية للعمال ، وصيانة حقوقهم ، والوقوف بجانبهم ضد مَن يظلمهم ، أو يستغل جهودهم ، ويأكل عَرقهم ، كما يعمل هذا النظام على توفير العمل لكل عاطل ، والضمان الاجتماعى لكل عاجز حقيقة أو حكماً .

ولعل مما يساعد الحركة الإسلامية على النجاح فى الأوساط العمالية : ما مُنِيَت به الشيوعية - فلسفة ونظاماً - من إخفاق ، انهارت معه الأنظمة الدكتاتورية فى أوروبا الشرقية ، فقد ثار العمال أنفسهم على الدكتاتوريات التى قامت باسمهم ، وأسقطوا الحكومات التى طالما تاجرت بقضايا العمال ومطالبهم ، حتى دولة الاشتراكية الأم (الاتحاد السوفييتى) اتخذت سياسة جديدة تعيد النظر أو تعيد البناء وفق فلسفة « البرويسترويكا » .

إن الأنظمة الاشتراكية الماركسية التى قامت على سواعد العمال وأقيمت من أجلهم ، لم تحقق لهم السعادة التى كانوا يصبون إليها ، والتى ثاروا على الأنظمة الإقطاعية والرأسمالية من أجلها . بل الثابت أن العمال فى الأنظمة الحرة أحسن حالاً ، وأروح بالاً ، من الأنظمة الشيوعية .

وحسبنا مثلاً بارزاً على ذلك الألمانيتان : الغربية والشرقية ، ووضع العمال فى كل منهما . إن الناس فى الشرقية يشعرون أنهم فى سجن كبير ، فما أن أتيحت لهم فرصة الذهاب إلى الغربية حتى زحفوا بمئات الألوف . إن هذا وحده برهان مُعَبِّر لا يفتقر إلى تعليق .

* * *

OBEIKAN.COM

الحركة ورجال المال والأعمال

ومن المجالات التى يجب على الصَحْوَة أن تغزوها وتؤثر فيها : مجال التجار ورجال والمال والأعمال .

فهؤلاء يعيشون - إلا مَن عصم ربك - فى عالَم المادة والأرقام ، وحساب الأرباح والخسائر ، ودنيا المنافسة والاحتكار والسيطرة على السوق ..

وهذه العقلية كثيراً ما تُنسِى صاحبها قيود الحلال والحرام ، وكثيراً ما تُذهله عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ...

ولهذا اهتم النبى ﷺ بتوجيههم وإرشادهم وتحذيرهم من الرذائل الموبقة للتجار .

فحذَّرهم من الغش : « مَن غَشَّ فليس منا » ..

وحذَّرهم من الاحتكار : « من احتكر فهو خاطىء » .. أى آثم .

وحذَّرهم من كثرة الحَلف ، وذم كل تاجر جعل « الله » بضاعة ، « فلا يبيع إلا بيمينه ولا يشترى إلا بيمينه » .

وحذَّر من اليمين الكاذبة : « فإنها منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة » .

وحذَّر من الربا : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه » .

وحذَّر من الغَرَر مما فيه جهالة تُفضى إلى النزاع ، فنهى عن بيع الغَرَر .

كما حذَّر القرآن من التطفيف فى الكيل والميزان : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

---

(١) المطففين : ١ - ٦

كما مدح القرآن التجار الذين لا تشغلهم أموالهم ولا تجاراتهم وأرباحهم عن واجبهم نحو الله تعالى وفرائضه ، فقال فى روّاد المساجد : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ (١) .

إن التجار ورجال الأعمال ، فى أيديهم قسم كبير من ثروة الأمة ، وهم يتحكمون فى حاجيات الناس وأسعارها ، وهم يؤثرون على اقتصادها وسياستها المالية .

ولهذا يلزم أن يعرفوا ما يحل لهم ، وما يحرم عليهم ، وما يجب عليهم فى أموالهم من زكاة وحقوق بعد الزكاة .

لا يجوز النظر إلى التجار على اعتبار أنهم قوم ميئوس منهم ، وأنهم خارج نطاق الصَحْوَة ، وأن همهم الدنيا ومتاعها .

فالتجار بَشر من الناس يُؤَثِّر فيهم - كما يُؤَثِّر فى غيرهم - النصح والترغيب والترهيب ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وحسن الاتصال الصبور بهم .

وفى فجر الدعوة المحمدية ، رأينا من التجار مَن آمن بالله ورسوله ، وناصر رسالة التوحيد ، وإن عرضت تجارته وماله كله للضياع .

عرفنا منهم أبا بكر الصدِّيق ، وعثمان ذا النورين ، وعبد الرحمن بن عوف ، وهم ممن يعرف المسلمون سبقاً وفضلاً ، فهم من السابقين الأوّلين ، ومن العشرة المبشَّرة بالجنة .

وقد اضطرتهم الهجرة إلى المدينة ، أن يخرجوا من ديارهم ، وأموالهم ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله ، فرحبوا بذلك ، ورضوا به فى سبيل الله .

---

(١) النور : ٣٦ - ٣٧

OBEIKAN.COM

وفى عصرنا رأينا كثيراً من التجار المؤمنين الذين آثروا آخرتهم على دنياهم ، وبذلوا لنُصرة دينهم طائعين مختارين ، ولم يبخلوا بما آتاهم اللّه من فضله ، واعتبروا أنفسهم وأموالهم مِلكاً للدعوة الإسلامية ، والحركة الإسلامية .

وإذا كان رجال المال فى الغرب المسيحى يمدون مؤسسات التنصير فى العالَم بالوقود اللازم من التبرعات التى تبلغ آلاف الملايين ، ومثلهم رجال المال اليهود الذين بذلوا بسخاء قبل قيام إسرائيل وبعدها ، برغم ما عُرِفَ من شح اليهود وعبادتهم للمال - فإن رجال المال المسلمين لن يكونوا أقل منهم ، وقد علموا أن المال مال اللّه ، وأنهم مُسْتخْلَفون فيه ، وأنهم مطالَبون بالجهاد بأموالهم فى سبيل اللّه ، وأن ما أنفقوا من شىء فى سبيل اللّه يوفىَ إليهم ، ويُخْلِفُه اللّه عليهم .

وهنا نقطة مهمة فى ميدان البذل والعطاء المادى يجب أن نُنَبِّه عليها . فأنا أعلم أن بين أرباب المال واليَسار من المسلمين كثيرين من أهل الدين والاستقامة الراغبين فى الخير والراجين لمثوبة اللّه ، يجودون ويتصدَّقون بالكثير ، ويبسطون أيديهم بالعطاء ، ولكنهم فى حاجة إلى أن يعرفوا أين ينفقون .

فإن من الأمور الهامة المطلوبة في ميدان العمل الإسلامى ، والبذل الإسلامى : أن يدرك أصحاب المال أن المهم ليس إنفاق المال ، إنما المهم أين تنفقه ؟

ومن المهم جداً فى هذا المجال ترتيب الأولويات ، وتقديم الأهم على المهم ، والمهم على غير المهم .

فمن المؤسف حقاً أن ترى الجمهور الأعظم من أثرياء المسلمين ، وبخاصة أهل الخير منهم ، يولون أكبر الاهتمام إلى بناء المساجد ، وما يشبهها من المؤسسات الدينية المحض . وهذا ما شكا منه الكثيرون ممن يعملون فى حقل الدعوة ، وفى ميادين العمل الإسلامى .

شكا منه الإخوة فى منظمة الدعوة الإسلامية فى إفريقيا .. وشكا منه الأخ الكبير الدكتور محمد ناصر وإخوانه فى المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية فى أندونيسيا ... وشكا منه الإخوة الذين يعملون فى الحركة الإسلامية فى مجالات الدعوة والتوعية والتربية والمواجهة مع الأفكار والحركات العلمانية والماركسية وغيرها .

مع أن هناك - بإجماع الخبراء والمخلصين - بناء أهم من بناء المسجد ، ألا وهو بناء الإنسان .. بناء الرجال ، الذين عليهم تقوم النهضات ، وبهم تنتصر الرسالات ، وبجهودهم وإخلاصهم تتحقق الآمال ، وبهم تعمر المساجد ، وتنهض المؤسسات .

إن إقامة مركز للدعوة إلى الإسلام ، وتوعية المسلمين ، ونشر الفكر الإسلامى الصحيح بين شبابهم ، والعمل على تصحيح عقائدهم ، وتقويم أخلاقهم ، وغرس معانى الاعتزاز بالإسلام ، والحب له ، والغيرة عليه ، فى صدورهم ، وإيجاد الوسائل المتنوعة لتحقيق هذه الغاية ، من رحلات ومخيمات ، وحلقات ، ومحاضرات ، وغيرها .. كل ذلك من أوجب الأعمال التى تُقَرِّب إلى الله ، وتخدم الإسلام ، وإنفاق المال فيها من أول المطلوبات ، ومن أعظم القُربات .

إن إعداد دعاة ومربين قادرين على العطاء ، فاهمين لدينهم ، وفاهمين لدنياهم ، وتفريغهم لأداء هذه المهمة ، وإعانتهم عليها بكل سبيل ، لهو مما يأثم المسلمون بالتفريط فيه ، ويُؤجَرون عند الله ، ويُحمَدون عند الناس بالمسارعة إليه ، وبذل المال والوقت والجهد فى تحقيقه وإنفاذه .

* * *

الحركة والعمل النسوى

لقد اهتمت الحركة الإسلامية بالمرأة منذ فجر الدعوة ، وأنشأ الإمام حسن البنا قسم « الأخوات المسلمات » ليقوم بدوره فى نشر الفكرة بين المسلمات ، وتربية جيل منهن يحمل العبء مع الرجال من « الإخوان المسلمين » فى التمكين لدين الله فى الأرض .

وقد قام القسم بدوره إلى حد لا بأس به ، وكان للأخوات نصيبهن فى أيام المحن ، وخصوصاً فى رعاية أسر المسجونين والمعتقلين وإيصال المعونات إليها ، على ما فى ذلك من خطر يتهددهن من رجال « المباحث » . ومنهن مَن قاست ما قاست فى سبيل الله مثل الأخت زينب الغزالى .

● قصور العمل الإسلامى فى المجال النسوى :

ولكن يجب أن نعترف بأن العمل النسائى لم يبلغ إلى المستوى الذى ينبغى أن يصل إليه ، وإن انتشرت الدعوة فى صف النساء ، ولا سيما الطالبات فى الجامعات والثانويات .

فلم تظهر إلى اليوم - برغم مرور ستين عاماً على الحركة - قيادات إسلامية نسائية قادرة - وحدها - على مواجهة التيارات العلمانية والماركسية بكفاية واقتدار .

وذلك لأن الرجال يحاولون دائماً أن يسيطروا على توجيه النساء ، ولا يدعون لهن الفرصة الكافية للتعبير عن أنفسهن ، وبروز المواهب والقدرات النسائية الخاصة ، لتقود العمل بمعزل عن تحكم الرجال .

* * *

● متى ينجح العمل الإسلامى النسوى :

ورأيى أن العمل الإسلامى النسوى إنما ينجح ويثبت وجوده فى الساحة يوم يفرز زعامات نسائية إسلامية ، فى ميادين الدعوة والفكر ، والعلم ، والأدب ، والتربية .

وما أحسب هذا بالأمر المتعسر أو المتعذر ، ففى الأخوات نوابغ وعبقريات مثل الرجال ، وليس النبوغ من صفات الذكور وحدهم ، وليس عبثاً أن يقص علينا القرآن قصة امرأة قادت الرجال بحكمة وشجاعة ، انتهت بقومها إلى أفضل عاقبة ، وتلك هى ملكة سبأ التى حدثتنا عنها سورة النمل فى قصتها مع سليمان عليه السلام .

وقد رأيتُ فى جامعة قَطر البنات أكثر تفوقاً من البنين ، وهذا ما لاحظه غيرى من أساتذة الجامعة ، وبخاصة أن البنات أكثر تفرغاً للعلم من الذكور الذين تشغلهم أشياء كثيرة ، وعندهم سياراتهم التى يستقلونها ليذهبوا بها هنا وهناك .

* * *

● تسرب الأفكار المتشددة فى هذا المجال :

وأود أن أقول هنا بصراحة : إن العمل الإسلامى قد تسربت إليه أفكار متشددة غدت هى التى تحكم العلاقة بين الرجال والنساء ، وتأخذ بأشد الأقوال تضييقاً فى هذه المسألة .

وهذا ما لاحظته فى كثير من المؤتمرات والندوات ، حتى فى أوروبا وأمريكا ، ففى أواسط السبعينات ظللتُ أحضر لعدة سنوات المؤتمرات السنوية لاتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا ، وكان يحضر الإخوة والأخوات ، ويشهد الجميع المحاضرات والندوات العامة ، ويسمعن التعليقات والأسئلة والأجوبة والمناقشات حول القضايا الإسلامية الكبيرة : فكرية وعلمية واجتماعية وتربوية وسياسية . إلا حلقات فقهية خاصة تُعْقَد للنساء للإجابة عن تساؤلات خاصة عندهن .

ولكنى فى الثمانينات حضرتُ عدداً من المؤتمرات فى أمريكا وأوروبا ، فوجدتُ فصلاً تاماً بين الجنسين ، ووجدت الأخوات يُحرمن من قسم كبير ومهم من المحاضرات والمناقشات والندوات التى تُعقد عند الرجال ، وقد شكا إلىَّ

بعض الأخوات مللهن من المحاضرات التى تدور كلها حول قضايا المرأة وحقوقها وواجباتها ومكانتها فى الإسلام ، وهى قضايا تكررت حتى أصبح الحضور لسماعها كأنه عقوبة !!

وقد أنكرتُ هذا فى أكثر من مؤتمر حضرته ، وقلت : إن الأصل فى العبادة ودروس العلم هو الاشتراك ، ولم يُعرف فى تاريخ الإسلام مسجد للنساء وحدهن مستقلاً عن الرجال .

وقد كان النساء يشهدن الدروس النبوية - كما يشهدن الجمعة والجماعة والعيدين - مع الرجال ، ويسألن فى أخص الأمور المتعلقة بالمرأة ، ولم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين ، كما قالت عائشة رضى الله عنها .

وكتب السُنَّة حافلة بكثير من الأسئلة التى وُجِهَت من النساء إلى النبى ﷺ ، منهن مَن سألت لنفسها ، ومنهن مَن سألت باسم بنات جنسها ، قائلة : أنا وافدة النساء إليكَ يا رسول الله .

وقد طلبن من الرسول ﷺ أن يجعل لهن يوماً خاصاً ، ينفردن به دون الرجال، ليكون لهن فسحة من الوقت والحرية ، ليسألن عما يشأن دون حرج من آبائهن أو إخوانهن أو أزواجهن ، أو غيرهم من الرجال .

وهذه مزية أضيفت لهن إلى جنب الدروس العامة التى يشتركن فيها مع الرجال .

* * *

• مشكلة العمل الإسلامى فى المجال النسوى :

مشكلة العمل الإسلامى النسوى : أن الرجال هم الذين يقودونه ، ويوجهونه ويحرصون على أن يظل زمامه بأيديهم ، فلا يدعون فرصة للزهرات أن تتفتح ولا للقيادات أن تبرز ، لأنهم يفرضون أنفسهم فرضاً ، حتى على الاجتماعات النسوية ، مستغلين حياء الفتيات المسلمات الملتزمات ، فيكتمون أنفاسهن ولا

يُتيحون لهن قيادة أمورهن بأنفسهن ، فتبرز منهن مواهب يفرزها العمل وتصهرها الحركة ، وتنضجها التجربة والكفاح ، وتتعلم من مدرسة الحياة والممارسة بما فيها من خطأ وصواب .

كما أن الأخوات المسلمات لا يعفين من بعض التبعة ، فقد استسلمن لهذا الوضع ، ورضين بحياة الدعة والسكون ، وأن يفكر لهن الرجال بدل أن يفكرن لأنفسهن ، وينبغى أن يأخذن زمام المبادرة ، ويفتحن ميادين الدعوة والعمل ، ويخرسن الأصوات النسوية الغريبة الدخيلة على عقائد هذه الأمة وقيمها وشرائعها ، وهى أصوات عالية ، وإن لم تمثل إلا قلة مسحوقة لا وزن لها فى دين ولا دنيا !

حضرتُ فى العام الماضى فى حى جامعى للطالبات فى الجزائر العاصمة لإلقاء محاضرة عليهن ، وفتح باب الحوار - كما هى العادة - والرد على ما يقدمنه من أسئلة تحريرية أو شفهية ، وكان بعض الشباب حاضراً فبدأ هو يتلقى الأسئلة ويفرزها ، فيأخذ منها ويدع ، فقلتُ معترضاً : لماذا لا تقوم بهذا إحدى الطالبات ، نيابة عن زميلاتها ؟؟

لماذا (تحشرون) أنفسكم أيها الرجال فى أمر النساء ؟؟ ارفعوا أيديكم عن الأخوات ، ودعوهن يتصرفن كما يحلو لهن ، يستقبلن الأسئلة ويخترن منها المناسب فى تقديرهن ، وتقوم إحداهن بقراءتها .

وكأنّى بهذه الكلمة أزحتُ هماً ثقيلاً عن صدور الفتيات المؤمنات فتنفسن الصعداء ، وتقدمت إحداهن لتقوم بالدور الذى كان يقوم به أحد الإخوة المرافقين لى .

وقد حدث مثل هذا فى شتاء هذا العام فى مدينة مانشستر فى بريطانيا حيث عُقِدَ مؤتمر الطلبة المسلمين هناك ، فقد كانت لى محاضرة للأخوات ، وأسئلة بعد المحاضرة ، تولى استقبالها وفرزها وتنظيمها أحد الشباب الطيبين . ولكنى قلت

للأخ بصراحة : إن وجودك هنا لا مبرر له ، وكان الأولى أن تقوم إحدى الأخوات بهذا الأمر ، وهن أحق به وأولى ، ولكن الأخ الصالح قال : إنه مكلّف بهذا العمل حسب النظام ، ولا يستطيع التخلى عنه ، وهو معذور حقاً .

وشىء آخر شكا إلىّ منه كثير من الأخوات فى مصر وفى الجزائر ، وهو أن الأخت الداعية النشيطة المتحركة ، قبل الزواج ، بعد أن تتزوج أخاً ملتزماً ممن عرفته عن طريق الدعوة ، يفرض عليها العزلة ، ويمسكها فى البيت ، ويحرمها من المشاركة فى الحركة ، ويطفىء تلك الشعلة التى كانت تضىء الطريق لبنات الإسلام . حتى كتبت إلىّ فتاة جزائرية تعمل فى حقل الدعوة ، تسألنى : هل يحرم عليها أن تضرب عن الزواج وترفضه من حيث المبدأ ، حتى لا ينتهى بها الأمر ، كما انتهى بأخوات لها ، إلى حياة الخمود والكسل والبُعد عن ميدان الحركة والعمل ، فى حين تعمل الشيوعيات والعلمانيات والمتحللات ؟!

* * *

● اعتراض وجوابه :

سيقول المشتدُّون : كيف تطلبون من المرأة المسلمة أن يكون لها دور بارز فى الحركة الإسلامية ، وأن تتحرك وتقود وتثبت وجودها فى موكب العمل الإسلامى الزاحف ؟ وهى مأمورة بالقرار فى بيتها بنص القرآن الكريم : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ (١) .

وجوابى لهؤلاء الإخوة الغيورين : إن الآية خطاب لنساء النبى ، وهؤلاء لهن من الخصوصية ما ليس لغيرهن ، وعليهن من التغليظ ما ليس على سائر النساء ، وقد قال تعالى فى خطابهن : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ (٢) .

---

(١) الأحزاب : ٣٣ (٢) الأحزاب : ٣٢

ومع هذا لم تمنع هذه الآية عائشة أم المؤمنين من الخروج فى معركة الجمل ، تطالب بما تعتقده حقاً فى شؤون السياسة ، ومعها من كبار الصحابة رجلان رُشِحا للخلافة ، وهما من العشرة المبشَّرين بالجنة .

وما رُوِىَ من ندمها على هذا الموقف ، فليس لأن خروجها من بيتها لم يكن مشروعاً ، بل لأن رأيها فى السياسة جانَبَه التوفيق ، غفر اللّه لها ورَضِىَ عنها .

على أننا لو أخذنا برأى مَن يقول : إن الآية لعموم النساء ، فإنها لا تعنى إمساكهن فى البيوت لا يخرجن منها ، فإن هذا الإمساك ذكره القرآن عقوبة لمن ترتكب الفاحشة ، ويشهد عليها الشهود الأربعة ، وذلك قبل استقرار التشريع على الحد المذكور فى القرآن والسُنَّة ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّاتِى يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ، فَإِنْ شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى البُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ المَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ (١) .

ثم إن قوله تعالى فى الآية : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ (٢) يدل على مشروعية الخروج المحتشم غير المتبرج ، فالمرأة لا تُنَهى عن التبرج داخل بيتها ، فإن لها أن تلبس وتتزين فيه ما شاءت ، إنما تُنَهى عنه إذا خرجت إلى الطريق أو السوق أو غير ذلك ، مما هو مظنة التبرج .

* * *

(١) النساء : ١٥ (٢) الأحزاب : ٣٣